الرحمة ودلالتها في السياق القرآني
دراسة نحوية لغوية

أ. م. د: محمد توفيق عبد المحسن
قسم اللغة العربية – كلية الآداب- جامعة الأنبار

ملخص البحث

تبغي هذه الدراسة التعرف على أسرار وخفايا تتعلق بالرحمة ، وهي تحاول التوصل إلى ذلك عن طريق الدلالة النحوية السياقية بحثا عن أجوبة للأسئلة الآتية :

ما المقصود بالرحمة ؟ وما المطلوب من المؤمنين شرطاً موجباً لتحقق الرحمة ونزولها ؟ ومتى نضمن نزول الرحمة ؟ ومن الموعودون بالدخول في رحمة الله؟ وما أثر التغييرات اللفظية في إحداث تغييرات دلالية ؟

أسئلة تتردد وفي هذا البحث عرض للمسات بيانية قد تُقَرِّب من الإجابة توزعت على مبحثين :

أحدهما يتناول مفهوم الرحمة وتنوع معانيها ، وتنوع رسم التاء في المصحف العثماني ودلالاته ، ومواطن استحقاق الرحمة ، ومستحقيها وتنكيرها وتعريفها وأثر ذلك في الدلالة السياقية.

والآخر في تقديم لفظ الرحمة وتأخيره وصلة ذلك بالضمير ، والجار والمجرور، والظرف، والإضافة.

Mercy and its significance in the context Quranic
Grammatical linguistic study

Assistant Professor Dr. Mohamed Tawfik Abdel Mohsen
Department of English Language - Faculty of Arts - University of Anbar

Research Summary

Non of this study to identify the secrets and Khvaya concerning mercy, as they try to reach it by grammatical significance contextual search for answers to the following questions

What is compassion? What is required of the faithful a positive requirement to verify compassion and descent? When guarantee the descent of mercy? It Moaudon to enter into God's mercy? And the impact of changes verbal semantic changes

FAQs In this search for graphic touches nearly answer distributed on two themes

One dealing with the concept of compassion and diversity of meanings, and the diversity of fee-na in the Ottoman Koran and its implications, and citizen maturity, compassion, and beneficiaries and Tnkerha defined and its impact on the contextual significance

And the other in utter compassion and delayed link conscience, neighbor and sewer, and circumstance, and add-on

Dr. Mohamed Tawfik Abdel Mohsen

المقدمة

الحمد لله المستعان على عظائم الأمور ، ونشكره وهو مستحق الشكر على ما يظهر من خفايا بين السطور ، وبعد فإنّ هذه الدراسة تبغي التعرف على أسرار وخفايا تتعلق بالرحمة، وهي تحاول التوصل إلى ذلك عن طريق الدلالة النحوية السياقية بحثا عن أجوبة للأسئلة الآتية: ما المقصود بالرحمة ؟ وما المطلوب من المؤمنين شرطاً موجباً لتحقق الرحمة ونزولها ؟ ومتى نضمن نزول الرحمة ؟ ومن الموعودون بالدخول في رحمة الله؟ وما أثر التغييرات اللفظية في إحداث تغييرات دلالية ؟

أسئلة تتردد وفي هذا البحث عرض للمسات بيانية قد تُقَرِّب من الإجابة توزعت على مبحثين :

أحدهما يتناول مفهوم الرحمة وتنوع معانيها ، وتنوع رسم التاء في المصحف العثماني ودلالاته ، ومواطن استحقاق الرحمة ، ومستحقيها وتنكيرها وتعريفها وأثر ذلك في الدلالة السياقية.

والآخر في تقديم لفظ الرحمة وتأخيره وصلة ذلك بالضمير ، والجار والمجرور، والظرف، والإضافة .

المبحث الأول

(دلالة اللفظ بين الصيغة والسياق)

أولا : مفهوم الرحمة

الرحمة لغة : " الرِّقة والتعطف ، والمَرْحَمَة مثلهُ ، وقد رَحِمَهُ بالكسر رَحْمَةً ومَرْحَمَةً أيضاً . و الرَحَموت من الرَّحمة ، و(الرَّحِمْ) القرابة. و(الرِّحْم) القرابة أيضاً بوزن (الجِسْم) . و(الرُّحم) بالضم الرَّحمة . قال تعالى : ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا (٨١)﴾ [الكهف:٨١]، و(الرُحُمْ) بضمتين مثله ... وهو مرحومٌ ومُرَحَّم للمبالغة ، واسترحمته : استعطفته ، وتراحموا : تعاطفوا ، والمؤمنون متراحمون " [١] .

هذا في اللغة لكنها في القرآن الكريم أوسع استعمالاً ، ولها دلالات أحصتها كتب الوجوه والنظائر ، فذكرت منها : دين الإسلام ، والجنة ، والمطر، والنبوة ، والنعمة ، والقرآن ، والرزق ، والنصر، والعافية ،والمودة ،والإيمان. [٢] ودلالات أخرى لم تُشِرْ إليها منها :

صرْف العذاب في ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾ [الأنعام:١٦] ، و الخلاص من الهلاك في الدنيا في ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود:٤٣] ، و النجاة من الفرقة و الاختلاف في ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ

مُخۡتَلِفِينَ (١١٨) إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ (١١٩)﴾ [هود] ، و السلامة من النفس الأمَّارة بالسوء في سورة يوسف﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥٣)﴾ ، و الخلاص من العذاب في سورة الإسراء ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾ وقوله: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا (٥٤)﴾ ، ومثلها في العنكبوت/٢١ ، و كشف الضر في قوله جلّ علاه : ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ (٧٥)﴾ [المؤمنون] ، و الوقاية من السيئات في ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٩)﴾ [غافر] ، و السلامة من الهلاك في سورة الملك ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (٢٨)﴾

فالرحمة تختلف في معناها باختلاف السياق ومناسبة الآية التي ترد فيها ، وهي تختلف عن غيرها من الألفاظ مثل النعمة والرقِّة وغيرها ، وفي تَعَرضٍ سريعٍ لمواضع الرحمة في القرآن الكريم نجد الرحمة وردت أيضا بمعنى الفضل ، والمِنَّة ، والعطية الكبيرة ، والمكانة ، والجاه ، والمقدرة ، والتمكن ، والمَلَكَة ، والرزق ، والملكوت ، والأهل ، والذرية ، وغيرها ، وهذه هي مناسِبات السياق وملازماته .

لقد أشار الزجاج(٣١١هـ) إلى تنوع معاني الرحمة في معرض حديثه عن قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ (٥٨)﴾ (سورة هود) ، فقال : يحتمل أن يكون بما أريناهم من الهدى والبيان وهو الرحمة ، ويحتمل أن يكون (رحمة منا) أي لا ينجو أحد وإن اجتهد إلا برحمة من الله "(٣).

وزاد النحاس (٣٣٨هـ)على هذين المعنيين معنى جديداً فقال في (رحمة منا) : " بأن بيَّنا لهم الهدى الذي هو الرحمة " (٤) .

ولابن جني(٣٩٢هـ) تفصيل لطيف ينقله ابن منظور في قوله تعالى: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥)﴾ [الأنبياء) ، فالرحمة عنده " مجاز من أوصاف ثلاثة هي : السعة والتشبيه والتوكيد ، أما السعة؛فلأنه كأنه زاد في أسماء الجهات والمكان اسم هو الرحمة ، وأما التشبيه؛ فلأنه شبه الرحمة وإن لم يصح الدخول فيها بما يجوز الدخول فيه فلذلك وضعه موضعه، وأما التوكيد؛فلأنه أخبر عن العَرَض بما يخبر به عن الجوهر وهذا فعال بالعرض وتفخيم منه إذ صُيِّرَ إلى حيز ما يُشاهَد ويُلمس ويُعايَن " (٥)

ونصل إلى أبي هلال العسكري (٤٠٠هـ) في كتابه الفروق اللغوية فنجده فرق بين النعمة والرحمة بعد أن أدخل كثيرون النعمة في باب الرحمة فذهب إلى أنّ الرحمة: الإنعام على المحتاج وليس كذلك النعمة ؛ لأنك إذا أنعمت بمال تعطيه إياه فقد أنعمت ولا تقول رحمته .

كذلك فرَّق بين الرحمة والرِّقة : فالرِّقة والغِلظة تكونان في القلب وغيره خِلقة ، والرحمة فعل الراحم ، والناس يقولون : رَقّ له فرحمه ، ويجعلون الرقة سبب الرحمة . وعنده أنّ الرأفة

أبلغ من الرحمة ، وهو استشهد بكلام أبي عبيدة في بيان قوله تعالى: ﴿ رؤوف رحيم ﴾ الذي يجد فيه تقديماً وتأخيراً ، و أراد به أنَّ التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى ، فإذا تقدم الأبلغ في اللفظ كان المعنى مؤخراً (٦).

و نقل ابن منظور عن التابعين في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩﴾ [هود] ، أن الرحمة هي الرزق (٧) ، وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ [يونس] ، قال : " هي الخِصب بعد مجاعة " (٨) .

وفصل الإمام الشوكاني(١٢٥٠هـ): في الأمر فقال : " المراد بالرحمة : النعمة من توفير الرزق والصحة والسلامة من المحن" (٩) ، في حين ذهب ابن عاشور إلى أن : "الرحمة هنا أريد بها الدنيا ، وأُطلِقَت على أثرها ، وهو النعمة كالصحة والأمن والعافية " (١٠) .

ثم كان الخلاف في (الرحمن والرحيم) وهما اسمان مشتقان من الرحمة ، ونظيرهما نديم وندمان ، وهما بمعنى ، إلا أن الرحمن اسم مختص بالله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره ، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم(١١) .

قال الزجاج(٣١١هـ) : " الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل ، مذكور في الكتب الأُوَل، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله " (١٢) .

وقال أبو هلال العسكري (٤٠٠هـ): " الرحمن على ما قاله ابن عباس : أرقّ من الرحيم. يريد أنه أبلغ في المعنى ، لأن الرقة والغلظة لا يوصف الله تعالى بهما ...وقيل معنى قوله رحيم أن من شأنه الرحمة وهو على تقدير نديم . وعندنا أن الرحيم مبالغة لعدوله وأن الرحمان أشد مبالغة؛ لأنه أشد عدولاً وإن كان العدول على المبالغة فكلما كان أشدَّ عدولاً كان أشدَّ مبالغة"(١٣).

وإنما بنيت الصفة الأولى على (فَعْلان) لأن معناها الكثرة وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين . فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل والرحيم قد يكون لغيره .

قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله : " ورحمة العباد رقة في القلب ، إذا وجدها الراحم في نفسه انعطف على المرحوم وانثنى عليه ، ورحمة الله للعباد جود وفضل" ١٤ .

ويبدو أن الرحمة شيء أكبر من كل ما ذكروه ، وأدق من كل ما وصفوه، وأرق من كل ما بينوه . ولأنهم ربطوا بين دلالة اللفظ وما يحيطه من دلالات فقد غاب عنهم أن الرحمة فوق كل ذلك ، فهي قوة جبارة في فعلها رقيقة بآثارها ، هي ظروف وأحوال يهيؤها الله عز وجل للبشر

في مناسبات ، هي نفحات ربانية يباشر فيها الله تعالى جبروته في تغيير سنن الحياة التي اعتادها الناس ، هي خوارق لعادات الطبيعة في نفس الإنسان وما يحيط به في الكون والحياة.

ولسيد قطب وصف رائع للرحمة وآثارها عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ٤٤﴾ [يس] ، إذ قال : " السفينة في الخضم كالريشة في مهب الريح ، مهما ثقلت وضخمت وأتقن صنعها . و إلا تدركها رحمة الله فهي هالكة هالكة في لحظة من ليل أو نهار . والذين ركبوا البحار سواء عبروها في قارب ذي شراع أو في عابرة ضخمة للمحيط ، يدركون هول البحر المخيف ، وضآلة العصمة من خطره الهائل وغضبة الجبار . ويحسون معنى رحمة الله ؛ وأنها وحدها العاصم بين العواصف و التيارات في هذا الخلق الهائل الذي تمسك يد الرحمة الإلهية عنانه الجامح ، ولا تمسكه يد سواها في أرض أو سماء" (١٥) .

ومن بديع ما يتعلق بالرحمة في النص القرآني أنك تجد سورة تطبع كلها بطابع الافتتاح وليس السياق الذي تقع فيه الآية فحسب ، ومن هذا النوع سورة مريم فهي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ ، فأنت ترى أنها تبدأ بالرحمة ثم أنّ السورة بأكملها تفيض بالرحمة ، فألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها إلى آخرها ، وقد تعقَّب ذلك الدكتور فاضل السامرائي في كتابه التعبير القرآني فعدد مواطنها وأحصاها في السورة (١٦) .

ثانيا : دلالات حروف البناء ..

لقد تَجلَّتْ أسرار حروف البناء في هذه الكلمة فكان في آيات الرحمة أسرار دلالية عظيمة، ربما لا نجد لها تأويلاً ولا تفسيراً ولا حتى إشارة عند من سبق من اللغويين والمفسرين ، فقد ذكروا أنَّ تاء التأنيث تلحق الأسماء ، فتكتب تاءً مرة ، وهاءً مرةً أخرى ، في الرسم العثماني. ومن ذلك كلمة (رحمة) وردت في المصحف (٧٩) تسعاً وسبعين مرة ، وجاءت مرسومة بالهاء فيها إلاّ سبعة مواضع ، فقد رسمت فيها (رحمت) بالتاء.[١٧] " وكان لعلماء العربية، وعلماء الرسم والقراءات محاولات في العثور على ذلك التفسير ، وكانت خطى الجميع متقاربة في هذا الميدان ، إلاّ أنّ الخليل بن أحمد ، وتلميذه سيبويه قد أغربا في ذلك ، وربما جانبا الحقيقة والصواب حين علّلا تغيير تاء التأنيث في الوقف إلى الهاء ، ليفرقوا بينها وبين الأصلية في بناء الكلمة رغم أنّ التاء هي الأصل عندهما"[١٨].

لقد اتفق معظم علماء العربية على أنّ التاء هي الأصل في علامة التأنيث، وأنّ الهاء تخلفها في الوقف ، فجاءت معظم الأمثلة لذلك مرسومة بالهاء .كذلك انحصرت تفسيرات علماء السلف في كتابتها على الوصل أو الوقف ، واختلف القرّاء في الوقف على ذلك فكان أكثرهم يقف بالتاء على ما كتب من ذلك بالتاء ، ويقول الوقف على ما في المصحف لا يتعدى. فما كان في المصحف بالتاء وقفت عليه بالتاء ، وما كان بالهاء وقفت عليه بالهاء [١٩].

ولعل من وقف على تاء التأنيث بالتاء ورسمها كذلك ، يكون جارياً على لغة طائفة من العرب، إذ يقول سيبويه : " وزعم أبو الخطّاب أنّ ناساً من العرب يقولون في الوقف : (طلحت) ، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحداً في الوقف والوصل " [٢٠]

تلك هي جهود علماء من سلف في تعليل ظاهرة رسم تاء التأنيث في بعض المواضع بالتاء وفي معظمها بالهاء ، وللمحدثين رأي في تفهم هذه الظاهرة ، وذلك أنّ التأنيث في الساميات كلها لم تكن له علامة سوى التاء [٢١] . لكن يبدو أنّ هذه العلامة قد خضعت للتطور على مرّ الأيام .

ويلحظ في النص القرآني أنّ هذه (التاء) ــ في آخر كلمة (رحمة) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) ، أو إلى كلمة (ربك) ، أو (ربِّهِ) ــ رُسِمت تاءً طويلة في المصحف العثماني ، في سبعة مواطن هي :

١. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة] .

٢. ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

٣. ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود] .

٤. ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾ [مريم] .

٥. ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم] .

٦. ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزّخرُف] .

وفي مواضع خمسة أخرى كتبت مربوطة وهي في قوله تعالى :

١. ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحِجر : ٥٦] .

٢. ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة ص] .

٣. ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزُّمَر] .

٤. ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَر] .

٥. ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران].

وفي هذا من جهة الدلالة ، أنَّ ما ورد من آيات فيها تاء (رحمة) طويلةٌ مفتوحة، كان المقصود به الرحمة لا مستحقيها ، أو طالبيها . فهي إذن مواطن وصف الرحمة ، وهذا

يستدعي السعةً ، إذ الكلام عن سعة الرحمة ، ولا ضير أن يرتبط التوسع في معنى اللفظ ومضمونه ، بالتوسع في شكل الحرف ورسمه ، فكلاهما متلازمان ، وفي هذا التلازم أثر نفسي واضح .

ففي الآية الأولى ؛ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا يدركون سعة رحمة الله فهم يرجونها، ورجاؤهم فيها كبير .

وفي الثانية؛ البشرى بالسعة ، فالرحمة تسع جميع المحسنين وهي قريبة منهم في متناولهم .

وفي الثالثة؛ وَسِعت أهل البيت رحمة الله وبركاته وعمَّتهم ، و في هذا من السعة ما لا يخفى .

وفي الرابعة؛ دعوة إلى تذكر رحمة الله والاطمئنان بها ، فكما شملت الرحمة زكريا عليه السلام مع أنَّ نداءهُ كان خفياً ، فهي ستشمل الجميع إن تقربوا من خالقهم بالدعاء، وهذا من مواطن الشمول والسعة .

وفي الخامسة ؛ دعوة للنظر إلى آثار رحمة الله الواسعة في الأرض والكون ، كيف يحيي الأرض بعد موتها ، في مظاهر الحياة جميعها .

وفي السادسة ؛ رحمة الله قسمت على الخلائق فوسعتهم بالرزق في الحياة الدنيا .

وفي السابعة ؛ رحمة ربك خير مما يجمعون ، وأوسع .

فكان في رسم التاء نوع مطابقة مع دلالة المعنى والحال ، وافق فيه التوسع في الرسم التوسع في المعنى .

وتبين في مواطن التاء المغلقة المربوطة (الهاء) أن السياق لم يكن يتكلم على الرحمة وسعتها ، بل على مواطن قلة واحتجاج و إنكار ، ففي الآية الأولى ؛ قلةٌ قانطة من رحمة الله، وفي الآية الثانية ؛ في قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾ [سورة ص] ، إنكار لتضييق الخير على العباد.

وفي الآية الثالثة ؛ المقام مقام رجاء وقلة ، ممن هو قانت آناء الليل ، وفي الآية الرابعة؛ إعلام من أسرف على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله . ويُذكِّر الذين يظنون أنّ رحمة الله لن تسعهم ، فهم قانطون ، وهذا مقام من لا يرجو الرحمة ظناً منه عدم الحصول عليها . وفي الآية الخامسة ؛ بيان حكم من ابيضت وجوههم، وأنهم يستحقون الدخول في رحمة الله، وهم طائفة محدودة ، فلم يكن ما تقدم في المواضع الخمسة الأخيرة في وصف الرحمة ، بل هو في وصف مواطن الضيق فيها .

ثالثا : دلالة حروف المعاني :

كذلك فإنّ لحروف المعاني أسرار أخرى مع لفظ الرحمة ، فلقد ذكر تعالى مستحقي الرحمة وبين صفاتهم ، وبين أنّ الرحمة متحققة لهم ومضمونة بدلالة حروفٍ بعينها ، وعلى النحو الآتي :

١ ـ : (على) . فالرحمة صُبّت عليهم ، فهي لهم مُنحةُ خالصة مخصوصة بدلالة حرف الاستعلاء (على) ، وهي لهم في الدنيا لأنها تتنزل ، والتنزل لا يكون إلا في الدنيا ، وذلك في موضعين ، لصنفين من الناس هما :

أ – أهل البيت ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ **عَلَيۡكُمۡ** أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود] .

ب – الذين يرجعون إلى الله عند المصائب : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ **عَلَيۡهِمۡ** صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة].

٢ـ : (في) . وهؤلاء الرحمة لهم واقعة ، لأنهم فيها بكفالة حرف الجر(في) ، ودلالته على الظرفية التي تعني الحلول والدخول ، فهم يعيشون في رحمة الله ، وهم مخلدون فيها ، فكان الأمر متعلقا بالآخرة ، ولا إشارة فيه إلى تنعمهم بها في الدنيا ، إذ لا دوام للرحمة في الدنيا . ولم ينل هذا الشرف إلا فئتين هما ؛ الذين ابيضت وجوههم بقوله :﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ **فَفِي رَحۡمَةِ** ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران] . ونبينا لوط عليه السلام ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ **فِي رَحۡمَتِنَآۖ** إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء].

٣ ـ : (الباء) ، والرحمة معها من حظ الأنبياء الذين واجهتهم مصاعب ومصائب ، وهؤلاء تقع لهم الرحمة في الدنيا بدلالة باء المصاحبة والملاصقة ، فهم مرحومون قبل وقوع الأذى ، إذ هي رحمة خاصة بالنجاة من العذاب في الدنيا ،فهي رحمة مؤقتة غير دائمة ، مرتبطة بمجيء الأمر بالعذاب ومنهم : هود عليه السلام قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ **بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا** وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾ [الأعراف] ، و ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ **بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا** وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ [هود] ، وصالح ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ **بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا** وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود] ، وشعيب ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ **بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا** وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ [هود] ، إلا مع أيوب عليه السلام فهي كشف الضُرّ ، وهي أيضا مؤقتة بزواله ، قال تعالى : ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ **رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا** وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء] .فإنه اختص بالرحمة من عنده تفضلا ، فجاء بالرحمة متبوعة بـ (من) مضافة إلى الظرف (عند) .

٤ ـ : (لام الملك) . للذين آمنوا عامة ، وهذه الرحمة مؤكدة بلام التملك لهم فهي مملوكة بإيمانهم ، وهما رحمتان عظيمتان حقيقة وليست واحدة ، رحمتان دائمتان خالدتان لا تدانيهما

رحمة ، فيهما فضل عظيم ، وخير عميم وفير، يَسَعُهُم في الدنيا ويوافيهم في الآخرة، فهي البشرى لكل مؤمن أن رحمته وسعادته في كتاب الله وهدي نبيّه ، لا في سواهما ، وأن رحمة المؤمن لن تكون أبدا بإصابة شئ من أسباب الدنيا وملاذّها ، وهاتان الرحمتان هما الوحيدتان من بين الرحمات عمّتا الدنيا والآخرة ، وهما :

أ ـ القرآن الكريم رحمة للمؤمنين ، في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى **وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** (٥٧)﴾ [يـــونس] ، و ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى **وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (١١١)﴾ [يوسف] ، ومثلها في النحل/٦٤ ، وفي الإســراء : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ **وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾ ، وفي ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى **وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** (٧٧)﴾ [النمل] ، و ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ **لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (٥١)﴾ [العنكبوت.

ويلحظ في تنوع ما تقدم من آيات مع هؤلاء المؤمنين ؛ أن المؤمن أصبح مرحوما في كل زمان ومكان ، إن حِفْظَ القرآن وركَنَ إليه تالياً ، سامعاً ، واعياً ، فالأمر مرتبط بالكتــاب ، والرحمة مرتبطة بالإيمان ، واللام حرف الدلالة قائم ، شاهد على ذلك في الآيات كلها .

ب ــ النبي رحمة للمؤمنين جميعاً. في قوله تعالى في ســورة التوبــة : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ **وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ** ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)﴾ .

رابعا : دلالة التعريف والتنكير .

تنوعت ألفاظ الرحمة بين التنكير والتعريف ، وهي في كل موضع وسـياق تخـتص بدلالة، و جماعة ، وزمان ، ومكان ، وكما يأتي :

١ ــ النكرة وتكون على أوجه ثلاثة :

أ ــ النكرة المجرورة المخصصة: وذلك أنّ الله تعالى بَشَّرَ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم برحمة منه في قولــه : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾ [التوبة] ، والبشرى منه تعالى غاية التكريم ، أي حقق لهم الرحمة فـي الدار الآخرة هم فيها خالدون . إذ " التنكير في الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم ، والمعنى أنها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين " [٢٢] . وأنَّ تنكيرها دالٌّ على الفخامة الإضافية الذاتية . [٢٣] " وهو " للتعظيم ، وكذلك وصفها بأنها من الله للدلالة على كمالها ، وموقـع منّـا على هذا الوجه موقع رشيق جدا يؤذن بأن الرحمة غير منقطعة عنهم " [٢٤] ، ودوام الرحمة كما تقدم من خصائص الآخرة .

ب ــ وقد ترد الرحمة نكرة مبهمة مع غير البشرى من الألفاظ ، وذلك مع الإذاقــة، للدلالة على عدم دوامها ، وقد تدل على عدم وقوعها أصلا ، فالكلام على تحقق الجـواب لا وقوع الشرط ، ومواضع ذلك معلومة مشروطة في مواضعها ، وهي قوله تعـالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ

ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم] و ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم] [٢٥].

ت ــ أو ترد نكرة مبهمة يليها مجرور باللام وهي في هذا الموضع تدل على اختصاص الرحمة بالمجرور بعينه ، وتعلقها بالمجرور على وجه الحتم والإلزام ، وأيضا تدل على أن رحمة كل أناس هي غير رحمة آخرين ، فالرحمات متنوعة . ومثال ذلك : ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف] ، فهناك رحمة لقوم يؤمنون ، وفي آية أخرى للذين لربهم يرهبون ، وأخرى للذين آمنوا ، وغيرها للمؤمنين ، وأخرى للمسلمين ، وغيرها للعالمين ، أو المحسنين ، أو لقوم يوقنون [٢٦]. فلَزِمَ تنوع الرحمة بتنوع المختص .

٢ ــ أمّا مجيؤها معرفة فعلى وجهين :

أ ــ تعريفها بــ (ال) للدلالة على الاختصاص بالقادر جلَّ في علاه في قوله : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:١٢] و ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] و ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣] و ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الكهف:٥٨] و المراد بها عموم الرحمة ، أي كل رحمة في الكون هي لله ، فلا رحمة لغيره . إذ رحمة البشر لا تشبه رحمته تعالى ، فرحمة العباد ؛ رِقةٌ في القلب ، ورحمة الله للعباد جود وفضل [٢٧] . ومن مظهر عموم الرحمة ما نجده في قوله تعالى : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود:٤٣] [٢٨] ، فقد أغفلَ ضمير المفعول ، إشارة إلى سعة الرحمة لجميع الأفراد ، وليس فرداً بعينه . ليشمل ما يمكن أن يستعمل من الصيغ مثل ؛ (رحمهُ ، و رحمهما ، و رحمهم ، أو رَحِمَ نفسه) كما يذكر الرازي [٢٩] . أو يكون المراد " هو الباري تعالى كأنه قيل : لا عاصم اليوم إلا الراحم " [٣٠] .

ب ــ تعريفها بإضافتها إلى ضمير ظاهر ، فهي تشير إلى تفرده تعالى بالرحمة، تعظيماً، وتباهياً ، وتفاخراً ، واتساعاً ، وعلى النحو الآتي :

- أضيفت في النص القرآني إلى ضمير الفرد الغائب (رَحمَته) في مواضع[٣١]، إشارة إلى التعظيم .
- وإلى ضمير الخطاب المفرد (رَحمَتك) في ثلاثة مواضع [٣٢] ، للاستعطاف والترجي .
- والى ضمير التكلم للجماعة (رَحمَتنا) في خمسة مواضع [٣٣] ، للتفاخر والتباهي .
- وإلى ضمير المتكلم المفرد (رَحمَتي) في موضعين [٣٤] ، للدلالة على السعة.

المبحث الثاني

تقديم لفظ (الرحمة) وتأخيره

تسبق لفظ الرحمة ألفاظ وتتأخر عنه ألفاظ أخرى ، وللتقديم والتأخير مغازٍ ودلالات ، وعند تلمس شيء من ذلك لابد من تقصي تلك الألفاظ للوصول إلى دلالتي التقديم و التأخير ومناسبة كل منهما .

فأما الألفاظ التي تقدمت على لفظ الرحمة فعلى نوعين ، أحدهما : الأسماء الظاهرة ، والآخر الضمائر المتصلة ، وهي على الوجه الآتي :

النوع الأول : الأسماء الظاهرة.

وأكثرها استعمالاً : (هدى) التي وردت في ثلاثة عشر موضعاً متبوعة بـ (رحمة)(٣٥) ، ومثالها قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأنعام] ، فالكتاب هدى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة] ، ولقد سبق الهدى الرحمةَ في عموم القرآن مختصا بالقرآن والكتب السماوية ، لأن الكتب أنزلها الله هداية للناس ، وما فيها من الهدى هو الرحمة ، فتحتم تقديم الهدى على الرحمة ، وهذا من تقديم الخاص على العام ولأن وجود الهدى دليل الرحمة ومفتاحها ، فإذا تحقق الهدى تحققت الرحمة ، وهذا المبدأ هو الحقيقة التي أوجدها هذا الدين ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة .

ثم (فَضلُ الله) تقدم على الرحمة في ثمانية مواضع منها قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [البقرة] ومثلها في سبعة أخرى[٣٦] . والفضل هنا هو العطاء الزائد عن الحد المقرر ، والسماح عما لزم من العقوبة ، أو إرجاعهم عن الهلاك والضلال . وكل هذا فضل من الله تعالى ، بل هو زيادة فضل وتكرم منه تعالى بإعطائهم الفرصة ، وما زاد من ذلك يكون رحمة ، والرحمة غير محددة فهي أوسع . وتقدمُ الفضل على الرحمة من باب تقدم الخاص على العام . فإن تقدمت الرحمة على الفضل فإن ذلك يستلزم وصف الفضل بالعِظَم حتى يتناسب مع الرحمة ؛لأنها واسعة عامة، وقس على ذلك الألفاظ الأخرى جميعها ، فكلها خاص ، والرحمة أعم وهذا من دواعي تأخرها . وهو دليل على أنّ الرحمة شيء كبير ، هو أكبر من كل المعاني التي يمكن أن نتصورها ونحن نطلب المعونة والمساعدة والسماح والعطاء ، فلا شيء من هذا يوازي الرحمة التي هي فضل عظيم ، ولعِظَمِها فالله تعالى يختص بها من يشاء .قال تعالى :﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة] ، ومثلها ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران].

ثم (المغفرة) وردت متقدمة على الرحمة في أحوال :

١. بلفظ (رحمة) في موضعين : في قوله تعـــالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران] . وفي قولـه: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء] .

٢. وردت بصيغ أخرى كأن تكون بصيغة المضارع في نحو قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعـــراف] و ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هـــود]،و ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف] .

٣. وردت بصيغة الأمر في الدعاء في قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة وفي سورة الأعراف: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ و ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وفـــي ســـورة المؤمنـــون : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ و ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

وفي الأحوال الثلاث تقدمت المغفرة على الرحمة ، وكل هذا من الذين امنوا يظهرون يقينهم برحمة الله ، وفي كل ذلك كانت المغفرة مقدمة على الرحمة مـــع الصالحين ، وهو كذلك . أليس التجاوز عن الذنب والمعصـــية ســـابق للتكـــريم والإثابة ؟ لذا قالوا في سبب تقديم الغفور على الرحيم : إنّ المغفـــرة ســـلامة والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.[٣٧]

لقد **تقدمت المغفرة على الرحمة في أسلوب الخطاب والتكلم كثيرا ،** لأن الخطـــاب في الأول مباشر بين المرحوم والراحم ، والموضع لمن يُقدِّم العذر عن ذنب يغتفـــر، فيطلـــب السماح قبل طلب الرحمة ، محباً مؤمناً موقناً خجلاً من فعله ، لذا كان طلب آدم وحواء المغفرة والسماح تهيئة لطلب الرحمة ، ولأن المغفرة هي نوع من الرحمة ، أو هي الرحمة التي يطلبها العبد ، فمن قدم المغفرة على الرحمة فهو مطمئن من رحمة الله . لقد حصل هذا مع الأنبياء مع آدم ونوح ، قدموا المغفرة على الرحمة لأنهم مطمئنون من تحقق رحمة الله ، لكنهم يرجـــون المغفرة ، إقرارا واعترافا بأن أمر الحصول على الرحمة ميسور لهم، فهم أيقنـــوا أنـــه **أرحـم**

الراحمين وهذا الوصف له تعالى على لسان يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام، في سور الأعراف والأنبياء ويوسف كما تقدم ، يقينا بتحقق الرحمة التي ما بعدها رحمة ؛لأنه أرحم الراحمين ، وليس في طلب المزيد منها . في حين أنّ الصالحين ،وهم دون الأنبياء منزلة ، يصفونه تعالى في الدعاء ، اعترافاً منهم بما تحقق من رحمة الله مع الرضا والقناعة ، وطمعاً في المزيد منها ، بأنه ؛ **خير الراحمين** ، وذلك في سورة (المؤمنون) في الموضعين السالف ذكرهما.

ولمّا كان العبد يطلب السماح أولاً ثم يتجرأ على طلب المزيد ،وجدنا الحق تبارك وتعالى يختم الآيات في أربعة وثمانين موضعاً من كتابه العزيز بقوله : ﴿غفور رحيم﴾ بعد حديثه عن استغفار العباد في أمور يُضطرون إليها ، أو يعملونها ثم ينتهون عنها ، ويتراجعون ويقلعون عن الذنب ويتوبون ، ويصلحون ما أفسدوا ثم يطلبون المغفرة .

ويتحقق في كل ما تقدم أن يكون الله غفوراً يتجاوز عن ذنوبهم ، ورحيما بهم يصلهم ويهديهم وينعم عليهم . فهم على خلاف ما عليه الفئة الأولى من الذين غفلوا عن رحمة الله ، وباشروا معاصيهم . فإنهم يتوبون عنها ثم يغفر لهم ثم يرحمهم .

وتقدمت الرحمة على المغفرة في أسلوب الغيبة فقط ، في السياق مع ضمير الغائب ، وهو الوجه الآخر فذلك في مواطن الدلالة على تفرد الله تعالى بالملك في الدنيا والآخرة ، واطلاعه على كل ما يجري في الكون ، حيث بيّن تعالى حكمه وقضاءَه في مخلوقاته ؛ فهو الرب الحاني الكريم العطوف ، ينظر إلى مخلوقاته بعين الرحمة ، قبل أن ينظر بعين الثواب والعقاب .

لقد تفرَّدت آية لطيفة في القرآن الكريم ببيان ذلك المعنى اللطيف من الرب اللطيف بعباده ، تقدمت فيها الرحمة على المغفرة في مطلع سورة سبأ وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [سبأ]، يخدمها التوافق في السجع والفاصلة بين الآيتين ، الأولى ؛ فيها ﴿الحكيم الخبير﴾ ، والثانية ؛ فيها ﴿الرحيم الغفور﴾ ، ولدى الجمع بين الآيتين يظهر التواصل بينهما؛ فالله تعالى رحيم غفور بمن لا يني عن حمده في الدنيا والآخرة في السموات والأرض ، وهؤلاء هم ؛ الحامدون الشاكرون المسبحون ، يرحمهم، وإن أخطأوا يغفر لهم .

كذلك فإنّ الآية بدأت بالحمد لله في الدنيا ، والحمد لله في الآخرة ، وبعد الحمد تأتي الرحمة . فالله تعالى يقول في فاتحة الكتاب : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة] ، حيث أردفَ (الحمد) بـ (الرحمن) و (الرحيم) .

ووقوع (الرحمن الرحيم) بعد كلمة (رب) هو في أحسن موقع ، فإن الرب الذي لا رب غيره ، والسيد الذي لا سيد سواه ، رحيمٌ بعباده ، فتنبسط نفوس العباد ويقوى أملهم برحمته(٣٨) .

فإن وقعوا في معصية كبيرة لا يملكون لها عذراً ، ولا يستطيعون عنها رجوعاً إلا بمعونة رب العباد فإن الرحمة ستتقدم على المغفرة ، لأنّ الرحمة أوسع من أن تُحد بحدود أو تقيد بقيود، ولأنهم غير واثقين من تجاوز الله تعالى عنهم وقبول توبتهم . فقد حصل مثل هذا مع المتكبرين المتجبرين من قوم موسى بعد أن عبدوا العجل ، قال تعالى :﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ **لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ** لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [الأعراف]،أرأيت كيف قدموا الرحمة على المغفرة ؟! فهؤلاء لا يتوقعون المغفرة لِعِظَمِ معاصيهم، ولأنهم لم يقدموا ما يستوجب المغفرة ، لذا فهم يتظلمون طلبا للعطف والشفقة والرحمة، ويتمنون الرحمة قبل المغفرة ، فهم لم يتوبوا ، فكيف يطلبون المغفرةعن ذنب لم يقلعوا عنه، وعلى هذا فهم آيسون من رحمة الله محرومون منها .

ثم ليُعلمَ أنه لم يرد في النص القرآني طلب الرحمة من غير المغفرة ، إلاّ مع الوالدين ، وهذا أمر معجز آخر، فإنه خصّهما بطلب الرحمة لا المغفرة فقال جلّ في علاه : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا** كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء] ، وفيه بشارة للوالدين ، أن الله غفر لهما ؛ بما قدما ، وبالولد الصالح يدعو لهما ، فهما لا يحتاجان إلا الرحمة ، والرحمة أيضا مكفولة لهما متحققة بالأمر في (قُلْ) ، فعُلِمَ منه أن مفتاح الرحمة لهما هو دعاء الولد لهما . فهل لنا أن نعتبر ونتعظ ونتأمل في حقيقة الدعاء للوالدين ، فهو من متممات البرّ بهما ، ومن مستوجبات الرحمة لهما .

ثم (إماماً) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ **إِمَامًا وَرَحْمَةً** ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٧﴾ [هود]، و ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ **إِمَامًا وَرَحْمَةً** ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ١٢﴾ [الأحقاف] .

ولم ترد (إماما) مُردفة بـ (الرحمة) إلا في هذين الموضعين ؛ والمقصود بها كتاب موسى حصراً ، وهذا سرّ من أسرار الإعجاز الأخرى ، فالقرآن الكريم ، والكتب الأخرى ؛ (هدىً ورحمة) ، أمّا كتاب موسى فقد تفرد بأنه إمام ورحمة . فانظر في سر ذلك ، وتمعن في سلوك يهود ، بما أنهم لم يتخذوه إماما فلم تصبهم الرحمة ، فهو تعالى قدم الأهم ثم خلفه بالمهم.

وتقدمت لفظة (صلوات) في قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ **صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة]، في موضع واحد للذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنّا لله وإنا إليه راجعون . وهؤلاء ربطوا مصيرهم بالله تعالى ، فهم في رحمته الدائمة تملّكوها بصبرهم وثباتهم ودلالة

ذلك الحرف (على) ، ولا تزول إلا بزوال الصبر ، وقد تقدم الكلام في ذلك [٣٩]، وهؤلاء تتنزل عليهم الصلوات والسكينة قبل الرحمة ، وهي فضيلة لهم ، ومكسب وجائزة خاصة ، فقدم الخاص على العام ، فنالوا الجائزتين معا ؛ الصلوات وهي السكينة ، وكذلك الرحمة ، وقدم الصلوات لأنهم بأشد حاجتهم إليها ، وأخر الرحمة لأنها مستقر لهم ومثوى.

ولفظة (تخفيف) في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ **تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ** ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾ [البقرة] ، فالتخفيف هو الغرض وليس القصاص ، وفي هذا الغرض حكمة بالغة رائعة ، نتبينها في أن الغاية من ذكر القصاص هو ؛ التنفير منه والتخويف ، وليس الرغبة في التطبيق ، فإن وقع الأمر ولزم الحكم فالميل إلى العفو هو الغاية وهو التخفيف، وأثر التخفيف هو الرحمة من الله بعباده لذا قدّم التخفيف وأخر الرحمة.

والأمر لا يكاد يختلف في كل موضع تقدم فيه لفظ على لفظ الرحمة فقد قدم الأهم ذا الصلة بالأمر ، وأخر الرحمة ، فلفظ (آية) في قوله تعالى﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ **ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً** مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾ [مريم].

وكذا لفظ (مودَّة) في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم **مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ **شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ** لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) ﴾ [الإسراء]

ولفظ (رأفة) في قوله تعالى﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ **رَأْفَةً وَرَحْمَةً** وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ (٢٧) الحديد.

وكأن الرحمة في كل ما تقدم ، هي ذلك العطاء الزاخر الذي يُطبق على الكون وما فيه، بحنان موجدهِ وخالقهِ الذي أوجده ، فهو يتولاه بالعناية والرعاية. وتصديق ذلك نلمسه ، فلقد تقدمت لفظة (رؤوف) في الفاصلة القرآنية (رؤوف رحيم) في تسعة مواضع(٤٠) ، كلها جاءت في ُمداراة المؤمنين ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ **بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٤٣) ﴾ [البقرة]

والرأفة ابلغ من الرحمة ولهذا قال أبو عبيدة : " إنّ في قوله تعالى: ﴿ رؤوف رحيم ﴾ تقديماً وتأخيراً أراد أن التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى ، فإذا تقدم الأبلغ في اللفظ كان المعنى مؤخراً "(٤١) .

وليعلم أنّ ألفاظاً ما تقدمت على الرحمة أبداً ، بل جاءت بعدها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ **لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ** لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [العنكبوت]، وهو تعالى في هذا الموضع يذكر الكتاب وإنزاله ويجعله ذكرى ، فإنزال الكتاب رحمة ، وما فيه من آيات ذكرى لقوم يؤمنون !!. فهو يتلى عليهم ، وبعد التلاوة تقع الذكرى ، فكان لزاماً تقدم الرحمة على الذكرى ، لأنّ الإنزال والتلاوة هما الرحمة ، وهذا على خلاف ما تقدم مع هدى ، فتقدم الهدى يسبق الرحمة ، أما هنا فالرحمة تسبق الذكرى، لأنه تعالى يُنزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فصار التنزيل هو الرحمة .

ومثلها في التأخر عن الرحمة (العلم) قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٧)﴾ [غافر] ، فالملائكة يستغفرون للذين آمنوا ، ويناسب الاستغفار تقديم الرحمة وتأخير العلم ،فهو تعالى يعلم وعلمه حقيقة لا مطلب، فقدَّم المطلب وأخَّرَ الحقيقة .

كذلك (الرضوان) في قوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾ [التوبة] ، فالرضوان إنما يكون بعد الرحمة ، بعد أن تطمئن القلوب، وتهنأ الصدور بالفوز العظيم ، فبعد أن تقع الرحمة يتبعها الرضوان .[٤٢] وهذا فيما تقدم فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين [٤٣]

النوع الثاني: (التقديم والتأخير بين الرحمة وأشباه الجمل)

ومن التقديم والتأخير ما يقع لحروف الجر وما تجره ، فثال التقديم ما يرد من مثل (برحمة منا) في قوله تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾ [الأعراف] ، ومثلها في سورة هود في الآيات ؛ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)﴾ [هود]﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦)﴾ [هود] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩٤)﴾ [هود] ، أو مثل:(رحمة منا) في قوله تعالى:﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١)﴾ [مريم] ، ومثلها في السور ؛ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٤٣)﴾ [ص] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)﴾ [يس] ، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)﴾ [فصّلت].

قال الآلوسي: " منّا أي جهتنا والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع نعتاً لرحمة مؤكدا لفخامتها " [٤٤] .

وابن عاشور يرى في تنكير الرحمة ووصفها بأنها من الله ، دلالة على الكمال والتعظيم ، ويرى في موقع (مِنَّا) على هذا الوجه موقع رشيق جدا يؤذن بأن الرحمة غير منقطعة عنهم ، كقوله تعالى (فإنك بأعيننا) ، وأنّ في دخول الباء على كلمة (رحمة) دلالة على المصاحبة أي ؛ فأنجيناه ورحمناه ، فكانت الرحمة مصاحبة لهم أنى كانوا ، فجعل اللطف والرفق حيثما حلُّوا إلى انقضاء آجالهم .[٤٥]

وقد تكون الباء للسببية في سورة هود في الآيات (٥٨ و٦٦ و٩٤) ، وهي ذكرت ، مع هود و صالح وشعيب عليهم السلام ، فكانت رحمة الله بينهم سبباً في نجاتهم .[٤٦] والمراد بالرحمة فضل الله عليهم ، لأنه لو لم يرحمهم لشملهم الاستئصال [٤٧] .

وربما كانت الباء (للتعدية) ، لأن قصد إيقاع النجاة كان ربانيا ، وهنا تظهر الرحمة ، إذ لو ترك أمر النجاة لهم لتضاءلت فرص نزول الرحمة ، فلا تقل كيف نجوا من العذاب الجامع والعذاب العام ، لأن هذه هي الرحمة ، وهي ألاّ يمسّ الداءُ الإنسان من أول ألأمر، أما الشفاء ؛ فيعالج الداء ، ولأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى وإن كانت له أعمال صالحة .

كذلك نلحظ في سورة هود الآية / ٥٨ ، أن الحق تعالى يُذكِّر بنجاتين هما : النجاة الأولى من العذاب الجامع ، الريح الصَرصَر من الصيحة الطاغية . والنجاة الثانية هي نجاة من عذاب الآخرة الغليظ ، ففقدان الدنيا رغم قساوته إلاّ أنه موقوف بعمر الدنيا ، وغلظ الشيء يعطي له القوة والمتانة وهو عذاب غليظ على قدر ما يستوعب الحكم .[٤٨]

وقيل معنى (**برحمةٍ منا**) بأن بَيَّنَّا لهم الهدى الذي هو رحمتنا [٤٩] ، وأخَّرَ الضمير للدلالة على تفرده بالرحمة التي لا تشبهها رحمة ، فرحمة الله أمر مختلف ، والقرآن يحرص دائما على وصف الرحمة بأنها من الله ولا يقدم الضمير المجرور حتى في حال إفراده ،إلا لعلة ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة]

وهو مع تأخير الجار والمجرور دال على تحقق وقوع الرحمة ، ويذهب بعضهم إلى أنّ (برحمة منا) و (برحمة منه) تعرب مفعولا لأجله في المواضع المذكورة آنفا؛ أي نجيناهم والذين معهم لأجل رحمتنا إياهم .[٥٠]

ونستشرف من المعاني أنّ تأخر الضمير (نا) عن الرحمة وعن الجار في (برحمة منا) يجعله مختصّا بالقدرة والعظمة والجبروت والتمكن والكثرة والغلبة مصاحباً النجاة ، أي برحمةٍ منا نحن أولي العظمة ، وهذا من مستلزمات النجاة إذ لابد من التمكن والقوة لحصولها، في حين صَاحبَ البشرى الضمير المفرد الغائب (الهاء) عند مجيئه مع الرحمة في (برحمة منه) ، للدلالة على أنه ضمير الرضا والقبول والتواضع والتفرد ، فهو يتكلم بأسلوب الحوار الهادئ اللطيف ، لا مجال الغلبة والقوة .

فصار تقديم (منّا) ، تقديماً للخبر وإعلاماً بجهة الرحمة ، ليدل على القلة وأن المتحدث عنه هو جزء من الرحمة ، وتأخيره توصيف إبهار بالرحمة نفسها ، يدل على العظمة والتوسع في الرحمة ، وأن المتحدث عنه هو الرحمة كلها .

ومثل الجار والمجرور إن تأخَّر في تحقق الوقوع ، أن يلي كلمة رحمة الظرف (عند) مضافا إلى الضمير مجرورا بـ (من) ، بل زاد تعظيما معه ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ (٢٨) ﴾ [هـود]، والرحمة هنا متحققة ، وهي الهداية لنوح عليه السلام وأيضا الرسالة .

ومثلها قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا (٦٥) ﴾ [الكهف]وقوله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ (٨٤) ﴾ [الأنبياء]، فالرحمة هنا لها قيمة أكبر، ودلالة أعظم بدلالة مكان الرحمة ونسبتها إليه .

وقد ينفرد السياق بطبيعة خاصة عندما يكون الظرف (لدنْ) هو السابق وحينئذ يختصّ بدعاء الصالحين ومن يستجاب لهم ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران]، وقوله : ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا (١٠) ﴾ [الكهف]، وما يطلب بالدعاء يفهم منه عدم حصوله ، وإن تحقق بالدعاء ، أو بعده . والمطلب هنا بيان الجهة التي تطلب منها الرحمة لا توصيف الرحمة، وبما أنّه ثبت تحقق المطلب وهو الرحمة بالدعاء في حال تقدم الظرف (لدن) ، فهذا اختصاص عظيم ينبغي التأمّل فيه . ومثلها (عند) وهو ما سيأتي الكلام عليه قريبا، على أن الفرق شاسع بينهما وبين الضمير في الاستعمال .

وقد تجد تنوعا عجيبا في السورة الواحدة نفسها كما في الآيات السابقة من سورة (هود/٥٨ ، ٦٦،٩٤) ، حيث تأخَّر الجار والمجرور ، ثم تقدما في قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ (٦٣) ﴾ [هود] ، فيظهر موجب التقديم والتنوع في ذلك التفنن ؛ بعدم إعادة الكلام المتماثل، وهو أيضا أسعد بالبيان في وضوح الدلالة ، فلما كان مجرور من الابتدائية ظرفا ، وهو (عند) ، كان صريحا في وصف الرحمة بصفة تدل على الاعتناء الرباني بها وبمن أوتيها ، ولما كان المجرور هنا ضمير الجلالة ، كان الأحسن أن يقع عقب الفعل (آتاني) ليكون تقييد الإيتاء بأنه من الله مشيرا إلى إيتاءٍ خاص ذي عناية بالمُؤتى، إذ لولا ذلك لكان كونه من الله تحصيلا لما أفيد من إسناد الإيتاء إليه ، فتعين أن يكون الإيتاء خاصا . ولو أُوقع (منه) عقب رحمة لتوهم السامع أن ذلك عوضا من الإضافة ، أي من أن يقال : وآتاني رحمة ، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا (٢١) ﴾ [مـريم]، أي رحمتنا لهم [٥١].

وبالمجمل فإنّ الآيات التي سبق الرحمة فيها الجار والمجرور تدل على حصول الرحمة وعدم نزعها ، في حين أنّ تقدم الجار والمجرور أو الظرف لا يدل على تحققها ووقوعها . وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ (٩) ﴾ [هـود]. و﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٣٣) ﴾ [الروم]

و ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى] فالسياق يوحي بتأخر الرحمة وتأخر وقوعها ، وأنها مشروطة مقيدة ، وسيتضح هذا في بحث سيفرد للشرط إن شاء الله تعالى وأذن .

الخاتمة ونتائج البحث

خاتمة هذا البحث أورد ما أجده ثمرة السبر والتمحيص مما أرشدني الله تعالى إليه وقد بان في :

١. تنوع دلالة الرحمة في النص القرآني تنوعاً كبيرا فاق ما ورد في استعمال العرب . وإذا نظرت في هذه المعاني فإنك لا تكاد تستقر على معنى للرحمة تجده ، لا في نفسك ، ولا في عِلم الأولين والآخرين . لكنها تجمع جميعا على أنّ الرحمة هي ؛ عناية إلهية تحيط بالعبد في الزمان والمكان ، تحميه من المؤثرات المادية وغير المادية ، مما يمكن أن يوقع الأذى على نفسه أو روحهِ ، وتسعده في الدنيا والآخرة.

٢. تجلى من أسرار حروف البناء في كلمة الرحمة ، تنوع الرسم فيها بين تاءٍ مفتوحة وتاءٍ مربوطة (هاء) ولكلٍ دلالته المرتبطة بالشكل ، فدلت المفتوحة على السعة ، ودلت المربوطة على مواطن إنكار الرحمة ، ومقام الرجاء ، والقلة ، والقنوط ، في تناسب عجيب بين الشكل والدلالة

٣. تبين من أسرار حروف المعاني مع الرحمة ؛ أنّ حروف الجر عيّنت مستحقي الرحمة ، وبينت نوع الرحمة ؛ فمنهم رحمته منحة وهدية بدلالة حرف الاستعلاء (على) ، ومنهم الرحمة مكفولة لهم بدلالة الظرفية في الحرف (في) ، ومنهم من تصحبه الرحمة بـ (الباء) قبل وقوع الأذى ، ومنهم من تأكدت له الرحمة بـ(لام الملك) يمتلكها بأفعاله جائزة له .

٤. اشتركت الباء مع البشرى في سياق الرحمة ، لبيان غاية التكريم . فهي محققة على وجه الحتم في هذا السياق .

٥. إن جاءت الرحمة في السياق نكرة فهو دليل على أنها فوق وصف الواصفين ، وتصور المتصورين ، فهي تعني الفخامة الإضافية .

٦. مجيء الرحمة معرفة يدل على الاختصاص بالقادر جلّ في علاه ، والمراد بها عموم الرحمة ، فكل رحمة في الكون هي رحمة الله ، ولا رحمة حقيقية لغيره ، فرحمة البشر لا تشبه رحمة الله كما تقدم .

٧. بإضافة الرحمة إلى ضمير ظاهر فإنها تشير إلى تفرده تعالى بالرحمة في هذه المواضع وليس لغيره رحمة فيها ، لذا نجدها تنوعت بين إشارة إلى التعظيم أو الاستعطاف والترجي ، أو التفاخر والتباهي ، أو الدلالة على السعة ، على خلاف ما يقع مع الظرف .

٨. تأخرت الرحمة عن الهدى في عموم الكتاب لاختصاص السياق بالقرآن الكريم والكتب السماوية ، فهي هدى قبل أن تكون رحمة ، فإذا تحقق الهدى تحققت الرحمة ، فصارت من لوازمه .

٩. تأخرت الرحمة وتقدم فضل الله للدلالة على أنّ فضل الله على العباد أقل من رحمته فهي أوسع قدراً مما يتفضل به عليهم .

١٠. الذين يظهرون يقينهم برحمة الله ، يقدمون المغفرة على الرحمة ، وهم الصالحون ، وهذا كثير في سياق المخاطب . وقد تتقدم الرحمة على المغفرة وهذا في سياق الغيبة فقط ، عندما يقع الانسان في معصية كبيرة لا يملك لها عذرا ، ولا يستطيع عنها رجوعا إلا بمعونة رب العباد .

١١. لم يرد لفظ (إمام) قبل رحمة إلا في موضعين ، يتكلم فيهما على كتاب موسى فقط .

١٢. من التقديم والتأخير ما يقع لحروف الجر وما تجره في سياق الرحمة مثل(برحمة منا) فقد أخر الضمير للدلالة على تفرده بالرحمة لا تشبهها رحمة . وفيه دلالة التوسع . أمّا تقديم الضمير(منا رحمة) فيوحي بالقلة، وبالمجمل فالرحمة متقدمة على الجار والمجرور تدل على حصول الرحمة وعدم نزعها ، في حين أنّ تقدم الجار والمجرور عليها يدل على عدم تحققها ، وهذا التقديم والتأخير يطابق الأهمية والوقوع . وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هوامش البحث

---

[١] ينظر أساس البلاغة ، الزمخشري : (رحم) ٣٢٩/١، اللسان (رحم).

[٢] ينظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ،هارون بن موسى القارئ(١٧٠هـ):٥٣ ، والتصاريف،يحيى بن سلام (٢٠٠هـ) :١٣٤ ، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابو الفرج بن الجوزي (٥٩٢هـ) :٣٣١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه :٤٨/٣

(٤) إعراب القرآن :١٧٢/٢

(٥) أللسان :مادة(رحم)

(٦) ينظر الفروق في اللغة:٢٢٠ ، ٢٢١

(٧) اللسان:مادة(رحم)

(٨) نفسه :مادة(رحم)

(٩) فتح القدير:٢/٢٤٥-٢٨٥

(١٠) التحرير والتنوير:١٣/٦

(١١) ينظر مختار الصحاح:مادة(رحم)

(١٢) اللسان :مادة(رحم)

(١٣) الفروق في اللغة :٢٢٠ ، ٢٢١ .

[١٤] بدائع الفوائد :٣٩ .

(١٥) في ظلال القرآن:٢٩٧٠/٥ .

(١٦) ينظر:٢٢١-٢٢٢ .

[١٧] ينظر رسم المصحف ، دراسة لغوية تأريخية ،غانم قدوري الحمد:٢٦٩.

[١٨] نفسه:٢٧٠ .

[١٩] ينظر نفسه:٢٧١ .

[٢٠] الكتاب :٢٨١/٢ ، وينظر سر صناعة الإعراب ، ابن جني :١٧٦/١ ، وشرح المفصل ، ابن يعيش :٨١/٩ .

[٢١] ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين:٨٣ .

[٢٢] فتح القدير : ٢/ ٢٤٥ .

[٢٣] ينظر تفسير أبي السعود : ٥٠٧/٣ .

[٢٤] ينظر : ٦ / ١٤٩ .

[25] وينظر في السور : الأحزاب/ ١٧، فاطر/٢، الزمر/٣٨،

---

[٢٦] ينظر السور على الترتيب : الأعراف/١٥٤، ٢٠٣ ، التوبة /٦١ ،يونس /١٠،٥٧، يوسف/١١١، النحل/٦٤،٨٩، الإسراء/٨٢، الأنبياء/١٠٧، النمل/٧٧، لقمان/٣، الجاثية/٢٠ .

[٢٧] ينظر : بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية :٣٩ ، ٣٠٨ .

[٢٨] وينظر أيضا سورة هود(١١٩) و سورة الدخان (٤٢) .

[٢٩] ينظر التفسير الكبير :١٨٦/١٧ .

[٣٠] الدر المصون :٣٣٢/٦ .

[٣١] هي في السور: البقرة/ ٦٤، ١٠٥، آل عمران/٧٤، النساء/ ٨٣، ١١٣، الأعراف/٥٧، التوبة/٩٩، يونس/٥٨، الإسراء/٥٧، الكهف/١٦، النور/١٠، ١٤، ٢٠، الفرقان/٤٨، القصص/٧٣، الروم/٤٦ الزمر/٣٨، غافر/٩، الشورى/٨، ٢٨، الفتح/٢٥ ، الجاثية/ ٣٠، الحديد/٢٨، الإنسان/٣٧.

[٣٢] هي في السور : الأعراف/١٥١، يونس/٨٦، النمل/١٩ .

[٣٣] هي في السور: يوسف/٥٦، مريم/٥٠، ٥٣، الأنبياء/٨٦،٧٥.

[٣٤] هي في السور: الأعراف/٥٦،العنكبوت/٢٣.

(٣٥) الأنعام: ١٥٤ ، ١٥٧ ، الأعراف: ٥٢، ،١٥٤، ٢٠٣ ، يونس:٥٧ ،يوسف: ١١١ ،النحل:٦٤ ،٨٩ ،النمل:٧٧ ،القصص:٤٣ ،لقمان:٣ ،الجاثية:٢٠ .

[٣٦] وينظر : ومثلها في النساء /٨٣،١١٣ و يونس/٥٨،و النور/٢١،٢٠،١٤،١٠

[٣٧] ينظر التعبير القرآني : ٥٨،٥٤.

(٣٨) ينظر لمسات بيانية:٢٧-٢٨ .

[٣٩] تقدم في صفحة (١٢) من هذا البحث .

(٤٠) التوبة:١١٧ ،١٢٨،النحل:٧ ،٤٧،الحج:٦٥،النور:٢٠،الحديد:٩،الحشر:١٠ .

(٤١) الفروق في اللغة:٢٢٠-٢٢١ .

[٤٢] ينظر فتح القدير :٣٤٥/٢.

[٤٣] ينظر نفسه :٣٤٥/٢ .

[٤٤] روح المعاني : ١٥٩/٤، وينظر تفسير أبي السعود:٥٠٧/٣.

[٤٥] ينظر التحرير والتنوير : ٢٧١/٢.

[٤٦] ينظر السابق : ١٠٤/٦ .

[٤٧] التحرير والتنوير: ١٠٤/٦

[٤٨] ينظر فيما تقدم تفسير الشعراوي : ٢ / ٥١٥ .

[٤٩] ينظر معاني القرآن و إعرابه ، للزجاج : ٤٨/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس:٢/ ١٧٢ ، وتفسير الشعراوي:٥٠٥/٢-٥٠٦ ، ٥٢١.

[٥٠] ينظر تفسير الشعراوي في تفسير آية(٤٣) سورة (ص) : ٤/ ٤٣٥.

[٥١] ينظر التحرير والتنوير:٦/ ١١١-١١٢.

ثبت المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- أساس البلاغة ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)ط ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨ هـ) تح زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ،١٩٧٧ م .
- بدائع الفوائد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيِّم الجوزية (٧٥١هـ) ط ٢ ، دار البيان ، دمشق ، ٢٠٠٤ .
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ م .
- التصاريف،يحيى بن سلاّم المغربي(٢٠٠هـ) تح هند شلبي ، تونسي ، ١٩٨٠.
- التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة – جامعة بغداد ، ١٩٨٧ م .
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لأبي السعود محمد بن ممد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٨٢ هـ) ط ١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير الشعراوي ، خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم،١٩٩١ م .

- التفسير الكبير، مفاتح الغيب ، فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ) ،مط الهيئة المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٣٨ م .
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، تح د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٣ م.
- رسم المصحف،دراسة لغوية تأريخية ،غانم قدوري الحمد ،ط ١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بغداد –العراق ، ١٩٨٢ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- سر صناعة الإعراب ، ابن جني (٣٩٢هـ) ، تح مصطفى السقا وآخرين ، جـ ١ ط ١ ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٥٤ .
- شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م.
- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) ،ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥١هـ .
- الفروق في اللغة ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٤٠٠هـ) ، ط٣ ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ١٩٧٩ م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٧ ، دار الشروق ، بيروت ،١٩٧٨ م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د.عبد الصبور شاهين ،دار مصر،١٩٦٩ م .
- الكتاب ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح عبد السلام هارون ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(٧١١هـ) ، دار الفكر .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط ٢ ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان .
- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ) ، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبدة شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابو الفرج بن الجوزي(٥٩٢هـ) تح محمد عبد الكريم الراضي، بيروت، ١٩٨٤ م .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ،هارون بن موسى القارئ(١٧٠هـ) تح د. حاتم الضامن ، وزارة الثقافة والإعلام ،بغداد، ١٩٨٨ م .